خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود و الإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٦/١/١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

اليوم هو أول أيام السنة الجديدة، وتبدأ السنة بيوم الجمعة المبارك. وبحسب التقليد السائد نتبادل التهاني عند رأس السنة، وأتلقى أنا أيضا رسائل التهنئة من قِبل الأحبة، ولعلكم أنتم أيضا تتبادلون هذه التهاني. تُستقبل السنة الجديدة في الغرب أو في البلاد المتقدمة بالانشغال في إثارة الصخب والملاهي وشرب الخمر والألعاب النارية طول الليل، بل في البلاد الإسلامية أيضا تُستقبل السنة الجديدة على هذا النحو. فيوم أمس كانت مثل هذه الأخبار تصل مِن دبي، حيث كان الناس مشغولين في الألعاب والملاهي، وفي الوقت كانت تُبثّ مَشاهد اندلاع حريق في مبنى ذي ٦٣ طابقا، وكان يتحول إلى رماد، وكان التلفاز يكرر بثَّ إعلانٍ أنّ هذا الحريق لن يؤثر، مهما اشتعلت النيران ومهما حدث الدمار، وسوف نظل نشتغل في الألعاب النارية أمام هذا المبنى بحسب البرنامج.

مع أن الأوضاع في معظم البلاد الإسلامية سيئة جدا ومأساوية، ولكن تصرفاتهم هذه توحي باستغراق هذه البلاد التي تملك تلك الثروة وأهلها في المادية، وحتى لو لم تكن هناك نارٌ فإنّ أوضاع البلاد العربية تقتضي من هذه الدول الإسلامية الغنية أن تعلن أنهم سيساعدون المتضررين الكثر في هذه البلاد الإسلامية بدلا من هدْر الأموال في الأعمال السخيفة، لكن حالتهم في الحقيقة تؤكد أنهم نسوا تعليمهم. فقد ورد خبر من دبي قبل أيام أنّه في أكبر فندق هناك قد وُضعت أغلى شجرة عيد ميلاد في العالم، التي يقدر ثمنها بأحد عشر مليون دولار. فهذه هي أولويات الدول الإسلامية الغنية. أما الأحمديون فكثيرون منهم قضوا ليلتهم بفضل الله في العبادة أو استيقظوا صباحا وصلّوا النوافل، وبها بدأوا السنة الجديدة.

ففي كثير من الأماكن أقيمت صلاة التهجد جماعةً، لكننا مع ذلك غيرُ مسلمين في نظر عامة المسلمين! وهؤلاء المشغولون في الصخب والشغب ومسرفو الأموال ببذخ والذين يحتفلون بتقاليد الأديان الأخرى باهتمام ملحوظ هم مسلمون!

على كل حال، نحن بفضل الله مسلمون ولا نحتاج لأي شهادة أو وثيقة من أحد، وإذا كنا نريد أي شهادة أو وثيقة فهي أن نكون مسلمين حقيقيين في نظر الله، ولا يكفي أن نصلِّي التهجد في أول أيام السنة فرادى أو جماعة، أو نتصدق أو نقوم ببعض الأعمال الحسنة الأخرى، ونزعم بذلك أننا فُزنا برضوان الله. لا شك أن هذه الحسنة يمكن أن تساعدنا على جذب أفضال الله، بشرط أن نداوم عليها. فالله سبحانه وتعالى يريد من عبده الدوام على الحسنات، فهو سبحانه وتعالى يريد أن يستجيب عبدُه لأوامره على الدوام، ويحرز الحسنات بانتظام. فثمة حاجة لإحداث انقلاب طاهر في القلوب بالصلوات والتهجد، عندها يرضى الله سبحانه وتعالى. فكل حسنة عمِلها الإنسان ليوم أو يومين فلا تعدّ حسنة في الحقيقة. إذن يجب أن نفكر أيُّ نوع من الأعمال والمواقف يجب أن نتخذها، حتى نكسب رضوان الله؟ وفي هذا الخصوص قد اخترت اليوم بعض النصائح لمبعوثٍ من الله لإصلاح الزمن، التي أسداها لجماعته في مناسبات مختلفة، لكي نظل نسعى لنيل رضوان الله بصبر وانتظام، وهذه الأمور سوف تجعل ١٢ شهرا و٣٦٥ يوما من السنة مباركةً، لا أولّ يوم فيها فقط، ونتمكن بها من استنـــزال أفضال الله علينا. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

فانظروا الآن إلى أوضاع الدنيا، أما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أثبت بعمله أن مماته وحياته كلها لله تعالى، أما المسلمون في العصر الحاضر فحين يقال لأحدهم هل أنت مسلم؟ يقول: الحمد لله. لكن الذي ينطق بشهادته يكون مبدأه في الحياة أنه يعيش لله سبحانه وتعالى أما هذا فيعيش من أجل الدنيا، (أي يقول المسلمون بألسنتهم لا إله إلا الله لكنهم يعيشون من أجل الدنيا) ويموت أيضا من أجل الدنيا، وتكون الدنيا حصرا مقصوده ومحبوبه ومطلوبه حتى يغرغر؛ أي يأتيه الموت. فكيف يمكنه الادعاء أنه يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، *فقال حضرته*: الأمر جدير بتفكير كبير فلا تعُدُّوه عاديا. فأنْ يكون الإنسان مسلما ليس أمرا سهلا هينا، فلا تجلسوا مطمئنين ما لم تحرزوا طاعة النبي صلى الله عليه وسلم وما لم تولدوا في نفوسكم أسوة للإسلام، إذا كنتم تعُدُّون أنفسكم مسلمين دون حُسْنِ اتباع (*أي إذا كنتم لا تتبعون النبي صلى الله عليه وسلم ولا تتأسون بأسوته ولا تعملون بتعليم القرآن*) فهو قشر محض، والعاقل لا يرضى بالاسم والقشر فقط، (فإذا كان هؤلاء لا يتبعون فإنما بيدهم قشر فقط). لقد قال مسلم ليهودي أن أسلِمْ، فقال له لا تفرح بالاسم فقط، ثم قال له: كنت قد سميت ابني خالدا ثم دفنته قبل حلول المساء (أي الخالد يعني من يعيش طويلا وللأبد لكن ذلك المولود لم يكسب الحياة بمجرد الاسم إذ لم يعش ولا يوما واحدا) *فقال عليه السلام*: إذن فتحرَّوا الحقيقة، ولا ترضوا بمجرد الأسماء. فكم من المخجل أن يعيش فرد من أمة الإنسان العظيم أي النبي صلى الله عليه وسلم حياة الكفار، أظهِروا

في حياتكم أسوة محمد رسول الله ﷺ واتبِعوه في كل الأحوال واعلموا أنكم إنْ لم تتبعوه فأنتم تتبعون الطاغوت، أي تتبعون الشيطان.

باختصار يمكن أن يُفهم بسهولة أنه يجب أن تكون الغاية المتوخاة من حياة الإنسان أن يكون حبيب الله، لأنه لا يمكنه حياة الفلاح والنجاح ما لم يصبح حبيب الله، وهذا لن يتحقق ما لم تطيعوا رسول الله ﷺ و لم تتبعوه حقًّا، فرسول الله ﷺ قد أرانا بعمله ما هو الإسلام؛ فولِّدوا في نفوسكم ذلك الإسلام، لكي تكونوا أحباء الله.

إن الإسلام لا يمنع من النعم المادية، بل ينصح المرء بإيثار الدين على الدنيا وهو يعيش في الدنيا نفسها، وفي هذا الصدد يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"الإسلام قد نهى عن الرهبانية لأن ذلك عمل الجبناء. فكلما كان ارتباط المؤمن بالدنيا كبيرا كان ذلك مدعاة لنيله مراتب عليا إن كان مقصوده هو الدين فقط، وكانت الدنيا ومالها وجاهها خادمة للدين.

فالأصل هو ألا تكون الدنيا هي المقصود بالذات بل يجب أن يكون الدين هو الهدف الحقيقي من وراء الحصول على الدنيا، ويجب أن يحصل على الدنيا لتكون خادمة للدين، فكما يركب الإنسان مطية ويأخذ الزاد معه للسفر إلى مكان آخر ويكون هدفه الحقيقي هو الوصول إلى غايته المتوخاة لا المطية أو الزاد بالذات، كذلك ينبغي على الإنسان أن يستفيد من الدنيا ولكن بِعَدِّها خادمة للدين.

لقد علّم الله تعالى دعاء: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾، ففيه أيضا قدّم الدنيا، ولكن أية دنيا؟ المراد هنا هي حسنة الدنيا التي تكون مدعاة لحسنات الآخرة، (*فقد ذكر هذه الدنيا أولا فاطلبوا حسناتها، لكن هذه الدنيا يجب أن تكسب حسنات الآخرة*) يُفهم من تعليم هذا الدعاء بجلاء أن على المؤمن أن يهتم بحسنات الآخرة في حصوله على الدنيا، وإلى جانب ذلك ذُكرتْ في كلمة حسنة الدنيا كافة الوسائل المثلى التي يجب على المؤمن أن يختارها للحصول على الدنيا، أي يجب أن تختاروا لنيل الدنيا كل أسلوب فيه الخير والبركة وليس الذي يؤدي إلى إيذاء الناس الآخرين ولا يجلب العار والشنار في أعين الناس، فلا شك أن الدنيا كهذه ستكون مدعاة لحسنة الآخرة."

إذن تحروا هذه الدنيا التي لا تؤذون بها أحدا، ولا تتسببوا بها لأنفسكم بالعار والشنار بين بني جلدتكم، فمثل هذه الدنيا ستجلب لكم الحسنات في الآخرة، ولقد أحب الله مثل هذه الدنيا.

ثم قال حضرته عليه السلام:

"يجب الانتباه إلى المراد من جهنم، فهناك جهنم توعّد بها الله تعالى بعد الممات. وثانيا: إذا لم تكن هذه الحياة لله فهي أيضا جهنم. (*فإن لم تكن فيها حسنات فهذه الدنيا تصبح جهنَم*) والله تعالى لا يتولى شخصا كهذا لينقذه من المعاناة ويوفر له الراحة. لا تظنوا أن الثروة الظاهرية أو الحكومة أو المال أو العزة أو كثرة الأولاد يمكن أن تكون مدعاة للسعادة أو الاطمئنان أو السكينة لأحد ويكون هذا

الشخص في جنة حاضرة. كلا، بل الطمأنينة والسلوان والسكينة التي هي من إنعامات الجنة لا تُنال بهذه الأمور، بل تتسنى نتيجة الحياة والممات لوجه الله، والتي وصّى بها الأنبياء عليهم السلام أيضا وخاصة إبراهيم ويعقوب عليهما السلام قائلَين: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. إن ملذات الدنيا تخلق طمعا نجسا وتزيد الطلب والظمأ، فلا يخمد ظمأ الناس، كظمأ المصاب بمرض الاستسقاء حتى الهلاك. إذًا، إن نار الأماني والحسرات غير المبررة إنما هي من نار جهنم التي لا تسمح أن يستقر لقلب الإنسان قرارٌ بل تتركه قلقا وهائما في نوع من التذبذب والاضطراب. لذا يجب ألا يغيب عن أنظار أحبائي (*أي الأحمديين*) أبدًا أنه يجب على الإنسان ألا يصبح مجنونا وألا يفقد صوابه في حب المال والثروة ونشوتها أو في حب الزوجة والأولاد لدرجة ينشأ بينه وبين الله حجابٌ." (*أي ينشأ البعد عن الله ﷻ وتنقطع العلاقة به*)

ثم يقول حضرته ؑ: "لقد خطر ببالي أنه ثابت من ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أن على الإنسان أن يتصف بهذه الصفات، أي أن الله جدير بهذه الصفات كلها وهو رب العالمين أي هو ربُّ عالم النطفة والمضغة وغيرهما، ثم هو رحمن ورحيم ومالك يوم الدين. فحين يقول المرء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فعليه أن يجعل نفسه في العبادة مظهرا لنفس الربوبية والرحمانية والرحيمية والمالكية." (*أي يجب على المرء أن يتصف بصفات الله هذه*)

ثم قال: "إن كمال الإنسان العابد هو أن ينصبغ بصبغة: "تخلقوا بأخلاق الله"، (*أي يتصف بصفاته*) وألا يكلّ ولا يملّ ما لم يصل إلى هذه الدرجة. ثم ينشأ بعد ذلك الجذب تلقائيا ويجذب صاحبه إلى عبادة الله (*عندما تنشأ هذه الحالة وهذه الصفات فليلتفت المرء إلى عبادة الله التي هي الغاية من خلق الإنسان*) وتستولي عليه حالة ﴿يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾".

يقول المسيح الموعود ؑ في هذا الموضوع: لا يعلم أحد متى تصيبه المنِيَّة، لذلك اجعلوا الموت أمام أعينكم دائما. (عندها فقط يمكن أن تعملوا بأوامر الله تعالى، وعندئذ فقط يمكن للإنسان أن يتحلى بتلك الصفات) فيقول ؑ: مَن يدري أنه سيعيش بعد الظهر إلى العصر؟ يحدث أحيانا أن الدورة الدموية تتوقف فجأة وتزهق الروح، فيموت المرء مع أنه كان سليما معافى. ثم روى ؑ حادثا وقال: ذات مرة جاء الوزير محمد حسن خان بعد التنـــزه وبدأ يصعد الدرج فرِحا مسرورا ولعله صعد درجة واحدة إذ أصابته الدوخة فجلس. سأله خادمه: هل لي أن أساندك؟ قال: لا. ثم صعد بضع درجات أخرى وانتابته الدوخة مرة أخرى وزهقت روحه. كذلك ذكر ؑ شخصا آخر اسمه غلام محيي الدين وكان عضو برلمان كشمير الذي مات فجأة. باختصار، لا نعرف موعد موت أحد. لذا على الإنسان ألا يغفل عنه أبدا. فإن مواساة الدين شيء عظيم يجعل المرء مطمئنا في سكرات الموت. لقد ورد في القرآن الكريم: "إن زلزلة الساعة شيء عظيم"، قد يكون المراد من الساعةِ القيامةُ، لا ننكر ذلك ولكن المراد هنا

هو سكرات الموت خاصَّة لأنه يكون وقت الانقطاع التام إذ ينفصل المرء عما يرغب فيه ويحبه، ويطرأ على الإنسان زلزلال من نوع غريب ويشعر كأنه مأخوذ في قبضة. ما دام الإنسان يواجه هذه الحالة من الموت فمن سعادته العظمى أن يبقى متنبها إلى الموت دائما. (عندما يقرب وقت الموت ويواجه الإنسان حالة الاحتضار أو يواجه هذه الحالة بوجه عام، فيجب أن ينتبه إلى هذا الأمر) فيقول المسيح الموعود عليه السلام: ... فمن سعادته العظمى أن يبقى متنبها إلى الموت دائما، وألا تكون الأشياء الدنيوية محبوبة لديه لدرجة يشعر بالألم عند الانفصال عنها في الساعة الأخيرة. (وإذا كان ذلك واقع الأمر فسيسعى الإنسان لكسب الحسنات، ولن يضيع الأموال في اللهو واللعب عبثا، ولا في تحقيق رغباته العابثة).

ثم يقول عليه السلام عن ضرورة إحداث التغير الحسن:

لا تعيشوا غير هيابين، بل استمروا في الاستغفار والدعاء، واخلُقوا في أنفسكم تغيرا حسنا. لم يعد هناك وقت للغفلة. الإنسان يُطمئننفسَه طمأنة زائفة ويقول: إن عمرك سيكون طويلا، ولكن يجب أن تحسبوا الموت قريبا. إن الله حقٌّ، ومن يعطي حقوق الله غيرَه ظلما سوف يموت موت الذلة. لقد ذُكرت في سورة الفاتحة ثلاثة فئات[1]، وسيري تلك الفئات الثلاثة للعيان. والذين كانوا متأخرين في تلك الفئات قد قدِّموا، أي الضالين. (أي الضالين الذين ذُكروا في نهاية سورة الفاتحة، ولكن المسيح الموعود يقول هنا بذكر مثال المسلمين أنهم تقدّموا) ثم يقول عليه السلام: كانت حالة الإسلام أنه إذا ارتد منه شخص واحد قامت القيامة، أما الآن (في زمنه عليه السلام) فقد تنصَّر مليونان من المسلمين تاركين الإسلام، وصاروا نجسين بأنفسهم (أي صاروا نجسين بتركهم الإسلام) ولكنهم بدلا من أن يشعروا بنجاستهم يسبون إنسانا طاهرا (أي يتكلمون ضد النبي صلى الله عليه وسلم). ثم يُرى نموذج المغضوب عليهم بواسطة الطاعون. (أي أن الطاعون أيضا آفة وتنــزل على الذين غضب الله عليهم. في العصر الراهن أيضا تحدث الطوفانات والزلازل والآفات من شتى الأنواع. فإذا أمعن الإنسان النظر فيها لوجد أنها أنواع غضب الله الذي ينــزل وهذه الأشياء ترشد الإنسان إلى الله تعالى، وتوجهه إلى الخضوع له عز وجل ليجتنب غضبه) يقول عليه السلام: ثم يأتي حزب: "أنعمت عليهم".

إنه لَقانون عام، ومن سنة الله القديمة أنه عندما يقول الله تعالى مخاطبا قوما ألا تفعلوا ذلك تكون فئة من القوم نفسه تخالف أمر الله حتما. (أي لما قال الله تعالى في القرآن أو يقول الآن ألا تفعلوا كذا وكذا فيكون المراد أن الناس سيفعلون ذلك. فالله تعالى قد حذّر سلفا أنكم ستفعلون كذا وكذا ولكن يجب ألا تفعلوا وإلا ستعاقَبون). يقول عليه السلام: أروني قوما قيل لهم ألا تفعلوا ذلك ثم لم يفعلوه. (أي إذا أمر الله قوما بألا يفعلوا كذا فإنهم يفعلونه حتما) لقد أمر الله اليهود بألا يحرفوا (الكتاب المقدس) ولكنهم

---

[1] أي الذين أنعم الله عليهم، والمغضوب عليهم، والضالين

حرّفوه. لم يقل الله عن القرآن بألا تحرفوه بل قال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ إذًا، يجب أن تستمروا في الدعاء ليُدخلكم الله في حزب "أنعمتَ عليهم".

(فللانضمام إلى حزب "أنعمتَ عليهم" هناك حاجة للدعاء باستمرار لا ليوم أو يومين. والمعلوم أن التغيير الحسن والتفكير بالآخرة يَنشأ نتيجة التقوى. والتقوى هي التي تجعل الإنسان ناجحا في الآخرة. فيقول المسيح الموعود حول هذا الموضوع:

إن الله تعالى يتجلى على المتقي، ويكون المتقي تحت ظل الله، ولكن يجب أن تكون التقوى خالصة وألا يكون فيها نصيب للشيطان، وإلا فالله تعالى لا يحب الشرك. وإذا كان هناك نصيب للشيطان فيقول الله أنه كله للشيطان. الإيذاء الذي يواجهه أحباء الله يكون نتيجة حكمة الله. (لا شك أن أحباء الله أيضا يواجهون المصائب والآلام ولكنها تكون بحسب حكمة الله) وإلا لو اجتمعت الدنيا كلها لن تقدر على إيذائهم قيد ذرة. ولأنهم يأتون لإقامة أسوة، لذا يكون من الضروري أن يُروا الناس أسوة تحمّل الأذى في سبيل الله أيضا، وإلا يقول الله تعالى بأنه لا يتردد في أيّ شيء أكثر من قبض روح وليّه. لا يحبّ الله حتى أن يميت وليَّه. لا يحب الله أن يواجه وليُّه أذى ولكنه يجعله يواجه الآلام لضرورة وحكمة، ويكون فيها خير للأولياء أنفسهم لأن الأذى يُظهر أخلاقهم. (إنهم يؤذَون ولكنهم عند مواجهة الأذى لا يشكون ولا يتذمرون ولا يصرخون بل تظهر أخلاقهم الفاضلة) لا تحل بأنبياء الله وأوليائه مصائب تمثّل عذاب الله وسخطه، بل الأنبياء يضربون مثل الشجاعة.... ما كان الله يكِنّ للإسلام عداوة ولكن انظروا كيف بقي رسول الله ﷺ وحيدا في معركة أُحد. وكان السر في ذلك أن تظهر شجاعة النبي ﷺ حين وقف النبي ﷺ وحده مقابل عشرة آلاف وأعلن: أنا رسول الله! لم يجد أيّ نبي فرصة لإظهار نموذج من هذا النوع.

أقول لأفراد جماعتي ألا يعتزوا بأننا نصلي ونصوم أو لا نرتكب الكبائر مثل الزنا والسرقة وما شابهها، لأن معظم المنتمين إلى الفِرق الأخرى والمشركين وغيرهم أيضا يشاركونكم في هذه المزايا. (أي هناك كثير من المشركين أيضا الذين يكسبون الحسنات ويتحلّون بأخلاق فاضلة)

يقول عليه السلام: التقوى موضوع دقيق جدا فحاوِلوا الحصول عليها. رسّخوا عظمة الله في القلوب. من كان في أعماله شيء من الرياء يرد الله عليه أعماله. كون المرء تقيا صعب، فمثلا لو قال لك أحد (هنا يضرب عليه السلام مثلا).. إنك سرقتَ قلمي فلماذا تغضب؟ (أي لو اتهم أحد غيره تهمة باطلة وقال بأني وضعتُ هنا قلمي وقد سرقتَه فيغضب المتَّهَم، فيقول عليه السلام ما الحاجة للغضب) بل إن تقواك إنما هي لله تعالى. (أي إن اجتنابك الغضب إنما هو في سبيل الله) لقد ظهر الغضب لأن الروح لم تكن مستقيمة (سبب غضبك هو أن علاقتك بالله ليست على ما يرام، ولم تكن ترى الله ولم تُرِدْ رضا الله تعالى، لذا يغضب الناس لأتفه الأمور، وإذا كانوا يذكرون الله لن يغضبوا)

يقول الطَّيْلِا: ما لم تطرأ على الإنسان ميتات كثيرة لا يمكن أن يكون تقيًّا. المعجزات والإلهامات أيضا فروع التقوى. الأصل هو التقوى (يجب أن تتذكروا هذا الأمر) لا تتمنوا الإلهامات والرؤى. (لا تتمنوا أن تتلقوا الإلهام أو الرؤى أو الكشوف) بل حاوِلوا الحصول على التقوى...(لا تنظروا ما الذي تلقاه أحد، هل يرى رؤى صادقة أم لا، بل انظروا هل هو تقيّ أم لا). من كان تقيا كانت إلهاماته صادقة وإلا لا تجدر إلهاماته بالثقة مهما سرد لكم من إلهاماته. (إذا نقَصَتْه التقوى وكان يغصب حقوق الناس ويستشيط غضبا لأتفه الأمور لن تكون رؤاه صادقة مهما سردها وادعى صدقَها) يتابع المسيح الموعود الطَّيْلِا ويقول: ... لأنه يمكن أن يكون فيها نصيب للشيطان. لا تقيسوا تقوى أحد على كونه ملهَمًا، بل قيسوا وافحصوا إلهاماته من خلال تقواه. عليكم أن تعبُروا منازل التقوى أولا مغمضين عينيكم عن كل جانب آخر. واثبُتُوا على أسوة الأنبياء. كل الأنبياء الذين جاؤوا كانوا يهدفون إلى تعليم سبل التقوى. ﴿إنْ أولياؤه إلا المتَّقون﴾ ولكن القرآن الكريم علّم السبل الدقيقة للتقوى. إن كمال نبي يقتضي كمال الأمة، ولما كان النبي ﷺ خاتم النبيين فقد خُتمت عليه كمالات النبوة، وبختم كمالات النبوة خُتمت النبوة أيضا. والذي يريد أن يُرضي الله تعالى ويرى المعجزات والخوارق يجب أن يجعل حياته خارقة للعادة. (أي يجب على المؤمن بخاتم النبيين أن يصل إلى معايير عليا من التقوى لذلك قال الطَّيْلِا: أن يجعل حياته خارقة للعادة) انظروا أن المقبلين على الامتحان يجتهدون كثيرا لدرجة يمرضون وكأنهم مصابون بالسل ويضعفون. (أي يضعفون من كثرة الدراسة كالمصاب بالسل) فكونوا جاهزين لتحمّل كل نوع من المشقة للفوز في امتحان التقوى. التقوى أيضا امتحان يقتضي مشقة كبيرة. عندما يسلك الإنسان هذا المسلك يهاجمه الشيطان بكثرة، ولكنه (أي الشيطان) يتوقف أخيرا في مرحلة معينة. عندئذ يطرأ موتٌ على حياة الإنسان السفلية ويأتي المرء تحت ظل الله، فيصبح مظهرا لله وخليفته. إن ملخص تعليمنا هو أن يُسَخِّر الإنسان قواه كلها لله تعالى.

ثم يقول الطَّيْلِا ناصحا إيانا حول التقوى: الشرط للمتقين هو أن يعيشوا بالتواضع والمسكنة. التقوى فرع يجب علينا أن نتصدى بواسطته للغضب غير المشروع. (أي علينا أن نتغلب على غضبنا بواسطة التقوى أو إذا غضب علينا أحد دون مبرر) الهدف الأكبر والصعب لكبار العارفين والصديقين هو اجتناب الغضب. (أي يجب ألا تستشيطوا غضبا على إثِر غضب أحد ولا ترتكبوا ما ارتكبه هو) يقول الطَّيْلِا: الاعتزاز بالنفس والعُجب يتولد نتيجة الغضب (أي الكبر والغرور منشأهما هو الغضب) كذلك إن الغضب بحد ذاته يكون نتيجة الكبر والاستكبار أحيانا. (إذا كان الإنسان متكبرا ومغرورا يصيبه الغضب، فيستشيط غضبا لأتفه الأمور ويكون السبب في ذلك هو الغضب فيه) يقول الطَّيْلِا: يغضب الإنسان حين يفضِّل نفسه على الآخرين. لا أحب أن يحسب أفراد جماعتي بعضا من بينهم صغارا أو كبارا أو يستكبروا على الآخرين أو يستخفوا بالآخرين. والله أعلم من هو الكبير ومن هو الصغير. هذا

نوع من التحقير. ومن كان متعودا على تحقير الآخرين يُخشى أن تنمو بذرة الحقارة فيه وتؤدي إلى هلاكه. (الذي يحسب نفسه أعلى من أيّة ناحية فهذا يعني أنه يحقّر الآخرين. ويقول المسيح الموعود أن تحقير الآخرين يؤدي به إلى الهلاك) بعض الناس عندما يقابلون الكبار يقابلونهم باحترام شديد. (أي إذا قابلوا شخصا كبيرا أو ثريا قابلوه باحترام شديد) ولكن الكبير هو الذي يسمع كلام المسكين بالمسكنة. (أي يسمع للمسكين والفقير بهدوء وانتباه) ويُجبر خاطره ويحترم كلامه ولا يتفوه بكلام استقزازي يؤلم قائله. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.. لا تنابزوا بالألقاب، لأن ذلك من فعل الفساق والفجار، ومن يفعل ذلك لن يموت ما لم يواجه الوضع نفسه. لا تحتقروا إخوتكم. فما دمتم تشربون من عينٍ واحدة فمن يعلم مَن كان في نصيبه أن يشرب أكثر. لا يمكن لأحد أن يكون معزَّزا ومحترما نظرا إلى الأمور الدنيوية. والكبير عند الله هو المتقي: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾

ثم قال عليه الصلاة والسلام ناصحا جماعته بالتحلي بالتقوى ومبينًا شتى جوانبها: إن كل القوى والقدارت التي آتانا الله إياها ليست لنضيعها، بل لتنميتها بتعديلها واستعمالها الجائز، (يعني أن استعمالها العادل وفي محلها يؤدي إلى تنميتها ويساعد على فعل الخيرات أكثر) ومن أجل ذلك لم يأمر الإسلام بالقضاء على قوة الرجولة أو بإخراج العين، بل حثّنا على استعمالها الجائز وتزكية النفس، (أي لم يعطنا الله القوى الجنسية أو العين لارتكاب المعاصي أو لسوء النظر بل أعطاناها وقال إذا استعملتموها في محلها فسوف تزيدكم تزكية) كما قال الله تعالى (قد أفلح المؤمنون)(المؤمنون:٢)، كما نرى أنه تعالى رسم أولاً حياة المتقين هنا (أي في سورة البقرة) ثم قال في النهاية كنتيجة: (وأولئك هم المفلحون).

ثم قال عليه السلام في شرح هذه الآية إن الذين يسلكون سبل التقوى ويؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة حين انهيارها (بعض الناس يشتكون من عدم التركيز في الصلاة، والحق أن هذا هو حال معظم الناس)، وينفقون مما رزقهم الله، ويؤمنون بالكتب السابقة وبكتاب الله هذا بلا تردد رغم هواجس النفس، وأخيرا يصلون إلى درجة اليقين، (في البداية يكون الإيمان بالغيب وهذا الإيمان هو الذي يوصل إلى درجة اليقين في النهاية) فأولئك هم على رأس الهدى، وسائرون على طريق يوصل السالك إلى الفلاح (أي أن الناس الذين يواصلون جهودهم هم الذين يسيرون في الطريق الذي يوصلهم إلى الغاية)، فأولئك هم المفلحون الذين سيصلون إلى غايتهم والذين قد صاروا في مأمن من أهوال الطريق. ومن أجل ذلك قد أمرنا الله بالتقوى منذ البداية، وأعطانا كتابا فيه الوصايا بالتقوى.

ثم يقول عليه السلام بعد كل هذا البيان:

لذا على جماعتنا أن تجعل أكبر همها التفكير فيما إذا كانوا من أهل التقوى أم لا. يجب أن يفوق هذا الهم كل همومهم الدنيوية الأخرى.

ثم يقول عليه السلام في موضع آخر:

إن كنتم تريدون أن تفلحوا في الدارين وتفتحوا قلوب الناس فطهِّروا أنفسكم، وأَعْمِلوا عقولكم، واعملوا بهدايات كلام الله، وأصلِحوا أنفسكم، واضربوا لغيركم مثالاً في الأخلاق الفاضلة، عندها سوف تفلحون حتما.

ثم يذكر عليه السلام شطر بيت بالفارسية وقال: ولله در القائل:

"سخن كز دل برون آيد نشيند لا جرم بر دل"

أي: لا جرم أن الكلام الذي يخرج من قلبه يدخل في القلب.

فيجب أن يخرج كل قول للمؤمن من قلبه، فيتسبب في فلاح الآخرين، وهذا سيسبب فلاحه هو في الأخير.

ويتابع عليه السلام ويقول:

لذا فأْتوا بالقلوب أولاً. إن كنتم تريدون التأثير في قلوب الآخرين فتحلّوا بقوة العمل

(أي يجب أولاً أن تكون قلوبكم جامعة للحسنات كلها وعاملة بها)

لأن قوة القول واللسان بدون العمل لا تجدي شيئا. فهناك كثيرون يُدْعَون مشايخ وعلماء ويعتلون المنابر ويعظون الناس زاعمين أنهم نوّاب الرسول وورثة الأنبياء، يقولون للناس: اجتنِبوا الكبر والزهو والسيئات، ويمكنكم قياس أعمالهم وسلوكياتهم من خلال مدى تأثير كلامهم في قلوب القوم.

ثم قال عليه السلام وهو يحث على ضرورة العمل قبل نصح الآخرين:

لو كان مثل هؤلاء يملكون قوة العمل وعملوا بأنفسهم قبل أن يقولوا لما دعت الحاجة إلى قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف:٣). إن هذه الآية تبين أنه كان في الدنيا أناس يقولون ما لا يفعلون، ومازالوا موجودين، وسيكونون في المستقبل أيضا.

فإذا كنا نريد العمل بأحكام القرآن الكريم فلا بد من التفكير في هذه الأمور ولا سيما في قوله عليه السلام أن علينا فحص أنفسنا أولاً. يجب أن يقوم بذلك كل واحد منا. هذه نصيحة أساسية يجب أن يتذكرها المسئولون الذين يتوقعون من الآخرين ذلك وينصحونهم به، ولكنْ عملُهم يكون خلاف ذلك تماما، أو يبحثون عن الحيل والحجج، مهملين أحكام الله ورسوله. إنني أطّلع على مثل هذه المواقف من حين لآخر.

ثم يقول عليه السلام عن التطابق بين القول والفعل: "اسمعوا قولي وتذكّروا جيدا أنه إن لم يكن كلام الإنسان بصدق القلب ولم تكن فيه القوة العمَلية فلا يؤثر، ومنه يتبيّن صدق نبينا الكريم ﷺ، لأن النجاح والتأثير في القلوب الذي ظفِر به النبي ﷺ لا نظير له في تاريخ بني آدم، وحصل ذلك لأنه كان هناك تطابق بين قوله وفعله، وهذا ما أُمرنا به أن نقتدي بأسوته."

ثم يقول الكليلا موجِّها إلى أمر آخر يهمّ مِن الجماعةِ المثقّفين والآباء والأمهات كما يهم الشباب الذين يحصلون على التعليم العالي: "هناك آفة أخرى تحل بالمثقفين في هذه الأيام وهي أنه لا يكون لديهم أي إلمام ولا علاقة بالعلوم الدينية مطلقا، لا يتوجهون إلى هذا الجانب بشكل صحيح، ثم عندما يقرؤون اعتراضات علماء الهيئة والفلاسفةِ فتبدأ تساورهم الشكوك والوساوس عن الإسلام. عندما يقرؤون اعتراضات أي فيلسوف أو عالم عن الله أو عن الدين فتتولد فيهم شكوك ووساوس فيصبحون مسيحيين أو ملحدين. قال الكليلا: في هذه الحالة يوقِع بهم والداهم أيضا ظلما عظيما إذ لا يعطونهم حتى قليلا من الوقت لتحصيلهم العلوم الدينية، ويورّطونهم منذ البداية في أشغال وأعمال تحرمهم من الدين الطاهر."

فيجب على الوالدَين أن يعتنيا بأولادهما ويجب على الشباب أن يتوجّهوا بأنفسهم أيضا إلى الحصول على العلوم الدينية، وأما في الجماعة الأحمدية فتوجد بفضل الله تعالى تفاسير القرآن والمناشير بكثرة لو قُرئت لرُفعت جميع الاعتراضات والوساوس بسهولة.

ثم يقول الكليلا عن المؤاخاة والوحدة والمحبة: قد قلت عدة مرات من قبل أن كونوا متفقين ومجتمعين فيما بينكم، وهذا ما علمه الله المسلمين أن يصبحوا وجودا واحدا وإلا ستذهب ريحهم، لذلك أمر بالوقوف في الصلاة متكاتفين لكي تظهر الوحدة، ويسري خير الواحد إلى الآخر مثل تيار البرق، إذا كان الخلاف ولم يكن الاتحاد فلن تكونوا محظوظين. إذا كانت بيننا خلافات فلن تتحقق الأهداف، لذا يجب أن ترفعوا الخلافات وتولّدوا الاتحاد. قال النبي ﷺ تحابّوا وادعوا لبعضكم بظهر الغيب. من مقتضى المحبة أن تدْعوا للآخر أولا سواء أتعرفونه أم لا تعرفونه، ثانيا ادعوا له من دون أن تخبروا بذلك أحدا. إن كان أحد يدعو لأخيه بظهر الغيب فيقول الملاك: ولك بمثله. لا يعلم الآخرون من يدعو لمن، ولكن عندما يدعو أحد بهذه الطريقة فيدعو له الملائكة. قال الكليلا: ما أحسن هذا القول، إن لم يُقبل دعاء الإنسان فإن دعاء الملاك ليُقبل بالتأكيد. إنني أنصح وأودّ أن أقول يجب ألا يكون خلاف فيما بينكم. قال الكليلا: إنما جئت بمسألتَين فقط، الأولى أن تختاروا توحيد الله تعالى، والثانية أن تبدوا الحب والمواساة فيما بينكم، وأن تروا ذلك النموذج الذي يكون كرامة للآخرين، وهذا هو الدليل الذي نشأ في الصحابة "كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم" تذكروا أن التأليف إعجاز، تذكروا ما لم يكن كل واحد منكم كالذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه فهو ليس من جماعتنا بل قال الكليلا: هو في مصيبة وبلاء.

ثم يقول الكليلا: "ستُخلَق جماعة صالحة على يدي إن شاء الله تعالى. ما هو سبب العداوة. إنما سببه البخل والكبر والعُجب والجري وراء العواطف. يقول الكليلا بألم شديد بأن الذين يتّصفون بالبخل والرعونة والعُجب ولا يستطيعون أن يتغلبوا على ثوائرهم سأفصلهم. سأفصِل عن جماعتي جميع أولئك الذين لا يتمالكون أنفسهم، ولا يعيشون بالتحابّ والتآخي. وليتذكرْ مثل هؤلاء أنهم ضيوف أيام قلائل إلا أن يسيروا سيرة حسنة. إني لا أريد أن أجلب الطعن عليّ بسبب أحد. مَن ينضم إلى جماعتي ثم لا يعمل

كما أريد، فهو كغصن جاف، وماذا عسى أن يفعله البستاني بالغصن الجاف إلا أن يقطعه؟ الغصن الجاف يمتص الماء ببقائه مع الأغصان الخضراء، ولكن الماء لا يقدر على أن يجعله أخضر، بل إن الغصن الجاف يفسد الأغصان الأخرى. فعليكم أن تخافوا، لأن مَن لا يُصلح نفسه لن يبقى معي."

سواء أكان يعلمه أحد في الظاهر أم لا، ولكن كل من هو ضعيف لا يستطيع أن يستفيض من هذه الأمور أو من الأدعية التي دعا بها المسيح الموعود عليه السلام لأفراد جماعته. إذًا، فلا بد أن يحاسب كل واحد نفسه من هذه الناحية.

يقول عليه السلام:

قال الله تعالى في القرآن الكريم: وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (آل عمران : ٥٦). هذا الوعد قد قُطع مع ابن مريم الذي وُلد في "الناصرة"، ولكنني أبشّركم بأن الله تعالى قد خاطب أيضا ابن مريم هذا الذي جاء باسم يسوع المسيح وبشّره بالكلمات نفسها. والآن عليكم أن تفكروا بأن الذين يريدون أن يشتركوا في هذا الوعد العظيم والبشارة العظيمة بالانتماء إليَّ هل يمكن أن يكونوا ممن ما زالوا في درجة النفس الأمارة ويسلكون سبل الفسق والفجور؟ كلا، ثم كلا. بل هم الذين يقدّرون وعد الله حقّ قدره ولا يَعُدّون كلامي قصة فارغة. ألا فاسمعوا وعوا، فها إني أخاطب ثانيةً أولئك الذي ينتمون إليّ وأقول: إن هذا الانتماء ليس عاديا بل هو انتماء عظيم، انتماء لا يظل تأثيره منحصرا في ذاتي، بل يصل تأثيره إلى ذات البارئ تعالى الذي ربطني بذلك الإنسان الكامل المصطفى الذي جاء بروح الصدق والحق إلى الدنيا. لو كان تأثير هذه الأمور منحصرا في ذاتي لما أخذني هَمّ ولا غَمّ ولم أكترث لها شيئا، ولكن هذا التأثير لا يظلّ عندي، بل يصل إلى نبينا صلى الله عليه وسلم بل إلى ذات الله العلي العظيم. وما دام الأمر كذلك، فاسمعوا وعوا أنكم إن كنتم تريدون أن تنتفعوا من هذه البشارة وتتمنون أن تكونوا مصداقا لها، وتتعطشون حقا لنيل هذا الفوز العظيم (أي أن تكون غالبين على المكفِّرين إلى يوم القيامة)، فإنما أقول لكم إنكم لن تنالوا هذا الفوز إلا إذا تجاوزتم مرحلة النفس اللوامة ووصلتم إلى منارة النفس المطمئنة.

لا أريد أن أزيد على قولي إنكم قد ارتبطتم بشخص مأمور من الله تعالى، فأنصِتوا إلى أقواله بآذان القلوب، واستعِدوا للعمل بها بكل ما أوتيتم من قوة، لكيلا تكونوا من الذين يقرّون أولا ثم يسقطون في نجاسة الإنكار، ويشترون عذابا أبديا."

ثم يقول عن شروط استجابة الدعاء: "يجب الانتباه جيدا إلى أن هناك شروطا لاستجابة الدعاء، منها ما يتعلق بالداعي ومنها ما يتعلق بطالب الدعاء من غيره. فأما طالب الدعاء فلا بد له أن يتقي الله ويخشاه، ويخاف دائما غنى الله تعالى، ويتخذ الصلح وعبادة الله شعارا له، ويُرضي الله بالتقوى والصدق، ولو فعل ذلك فُتح له باب استجابة الدعاء. أما إذا كان يُسخط الله تعالى ويُفسد علاقته معه ويحاربه، فإن شروره

وسيئاته تقف في طريق إجابة الدعاء سدًّا منيعا وصخرة كأْداء، ويغلق عليه باب استجابة الدعاء. لذا فعلى أحبابنا أن يحفظوا أدعيتنا من الضياع، ولا يعرقلوا طريقها بتصرفاتهم غير اللائقة."

قال عليه السلام: "عليهم أن ينتهجوا سبيل التقوى، فإن التقوى هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُعَدُّ لبّ الشريعة. فلو أردنا بيان الشريعة بإيجاز، فليس لبّ الشريعة إلا التقوى. والتقوى مدارج ومراتب كثيرة، ولكن لو تخطّى الإنسان المراحل الابتدائية بمثابرة وإخلاص طالبًا صادقًا، لارتقى إلى المدارج العليا نتيجة إخلاصه وطلبه الصادق. يقول الله تعالى: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. (المائدة: ٢٨)، أي أنه تعالى لا يجيب إلا دعوات المتقين. وكأن هذا وعد من الله تعالى، والله لا يخلف الميعاد كما قال: إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ. (آل عمران: ١٠)، فما دامت التقوى شرطًا ضروريا لاستجابة الدعاء، فما أشدَّه حماقةً وسفاهة مَن أراد استجابة دعائه مع عيشه عيشة الغفلة والانحراف؟! فعلى جماعتنا أن يبذل كل فرد منها قصارى جهده لسلوك سبل التقوى، لكي ينال لذة استجابة الدعاء ومتعتها، ويزداد إيمانًا.

قال عليه السلام: لا تظنوا أن الله يرضى بمحض البيعة، إنه مجرد القشر وأما اللب فهو في داخله، غالبا ما يكون قانون القدرة أنه يكون هناك قشر ويكون اللب بداخله، لا يكون القشر شيئا مفيدا وإنما يؤخذ اللب، والبعض يكونون ممن لا يبقى فيهم لُبّ أبدا، مثل بيضات الدجاج الفارغة التي لا يكون فيها صفار ولا بياض ولا تفيد بشيء وتُرمى كرديء، إلا أن تفيد كلعبة الأطفال لدقيقة أو دقيقتين، وهكذا ذلك الإنسان الذي يدّعي البيعة والإيمان إن لم يملك بداخله لبَّ كِلا الشيئَين فعليه أن يخشى أنه يأتي وقت ينكسر فيه بضربة خفيفة ويُرمى مثل البيض الفارغ. قال عليه السلام: هكذا الذي يدعي البيعة والإيمان يجب أن يتفحص هل هو مجرد قشر أم لُبّ؟ ما لم يُخلق اللُّب لا يكون مدّعي الإيمان بالإسلام والحب والطاعة والبيعة والاعتقاد والاتباع له مدعيا صادقا. تذكروا! إنه لقول حق أنْ لا قيمة عند الله تعالى للقشر دون اللب. تذكروا جيدا! لا يعلم أحد متى يأتيه الموت، ولكن الأمر اليقيني هو أن الموت واقع حتما، فلا تكتفوا أبدا بمحض الادعاء ولا تفرحوا به فهو شيء غير مجدٍ إطلاقا. وما لم يُحِلّ الإنسان على نفسه ميتاتٍ كثيرة، وما لم يخرج مرورا بكثير من التغيرات والانقلابات لا يستطيع أن ينال هدف الإنسانية الحقيقي.

وفّقنا الله تعالى لنجعل حياتنا وِفق أمنية المسيح الموعود عليه السلام، وتتقدّم أقدامنا إلى الحسنات كل حين، ولا نكون ممن يُضيعون أدعية المسيح الموعود عليه السلام بل نكون دوما ورثة الأدعية التي دعا بها حضرته عليه السلام لجماعته. وبهذا الدعاء أقدم لكم تهنئة العام الجديد، جعل الله هذا العام لنا وسيلة لبركات لا تُحصى على مستوى الفرد كما على مستوى الجماعة، آمين.

****